

محمد عطية الأبراشي

أَخْلَاقُ
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَصَصُ إِسْلَامِيَّةٍ لِلْأَطْفَالِ

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفيحاء

مطبعة الطبع والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بُنَى الْعَزِيز :

لَقَدْ عَرَفْتَ الْكَثِيرَ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ ، وَسَأَذْكُرُ لَكَ الْآنَ حِكَايَاتٍ جَمِيلَةً
عَنْ أَخْلَاقِهِ الْعَظِيمَةِ ، لِتَقْرَأَهَا وَتُقَلِّدَهَا حَتَّى
تَنْجَحَ فِي حَيَاتِكَ .

ابْتِعَادُ عُمَرَ عَنِ الْمَظَاهِر :

حِينَمَا تَوَلَّى عُمَرُ الْخِلَافَةَ قَدَّمَتْ إِلَيْهِ مَرَائِبُ
الْخِلَافَةِ لِيَرْكَبَهَا ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟
فَقَالُوا : مَرَائِبُ لَمْ تُرَكَّبْ مُطْلَقًا ، يَرْكَبُهَا
الْخَلِيفَةُ عِنْدَمَا يَلِي . فَتَرَكَهَا ، وَقَالَ لِمَوْلَى
(خَادِم) لَهُ يَا مُزَاحِمُ ، أَرْسِلْ هَذِهِ إِلَى بَيْتِ

مالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَنُصِبَتْ لَهُ سُرَادِقَاتٌ لَمْ يَجْلِسْ فِيهَا أَحَدٌ
مِنْ قَبْلُ ، كَانَتْ تُوَضَّعُ لِلْخُلَفَاءِ حِينَما يُؤَلَّوْنَ
الْخِلَافَةَ . فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ فَقَالُوا : هَذِهِ
سُرَادِقَاتٌ لَمْ يَجْلِسْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ،
يَجْلِسُ فِيهَا الْخَلِيفَةُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ يُؤَلَّى فِيهِ .

فَقَالَ : يَا مُزَاهِمُ ، ضُمَّ هَذِهِ إِلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ .
وَسَارَ بَيْنَ الصُّفُوفِ كَرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
وَسَرَّحَ الْفُرْسَانَ ، وَأَعْفَى كَثِيرًا مِنَ الشُّرْطَةِ
وَالْحَرَسِ ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ٦٠٠ ، ثُمَّ رَكِبَ
بَغْلَتَهُ ، وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْخِلَافَةِ ، فَوَجَدَ
أَوْلَادَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةِ الَّذِي
كَانَ قَبْلَهُ قَدْ جَمَعُوا مَا اسْتَعْمِلَ مِنَ الْمَلَابِسِ
وَأَنْوَاعِ الرِّوَاشِ الْجَمِيلَةِ فِي نَاحِيَةٍ ، وَمَا لَمْ

يُسْتَعْمَلُ فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى ، فَسَأَلَ عُمَرُ : مَا هَذَا ؟
وَمَا هَذَا ؟

فَأَجَابُوا : هَذَا مَا لَبَسَ الْخَلِيفَةُ مِنَ الثِّيَابِ
وَمَا مَسَّ مِنَ الرِّوَاحِ الْجَمِيلَةِ فَهُوَ لَوْلَدِهِ .
وَمَا لَمْ يُلْبَسْ وَلَمْ يَمَسَّ فَهُوَ لِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ فَهُوَ لَكَ .
قَالَ عُمَرُ : لَيْسَ هَذَا لِي ، وَلَا لِسُلَيْمَانَ ، وَلَا
لَكُمْ ، وَقَالَ : يَا مُزَاحِمُ : أَرْسِلْ هَذَا كُلَّهُ إِلَى
بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ أَحْضَرَتِ الْجَوَارِي ، فَعَرَضْنَ عَلَيْهِ كَالصُّوَرِ
الَّتِي زَيَّنَتْ بِأَدَوَاتِ التَّجْمِيلِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِنَّ
أَخَذَ يَسْأَلُهُنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً : مَنْ أَنْتِ ؟ وَلِمَنْ كُنْتِ
وَمَنْ أَرْسَلَكِ إِلَى هُنَا ؟

فَأَخْبَرَتْهُ كُلُّ جَارِيَةٍ بِأَصْلِهَا ، وَلِمَنْ كَانَتْ ،
وَكَيْفَ أَخَذَتْ ، فَأَمَرَ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ

إِلَى أَهْلِهَا ، وَبَلَدِهَا .

فَنَّاكَدَ الْحَاضِرُونَ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ
مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَالْجُنُودِ وَالْقَوَادِ أَنْ عُمَرَ
ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَيَسِيرُ بِالْعَدْلِ ، وَيَحْمِلُ
النَّاسَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ ، فَرَدَّ لِلْمَظْلُومِ
حَقَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَأَحْيَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ
رَسُولِهِ ، وَتَفَرَّغَ لِإِحْيَاءِ مَا أَمَرَبِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَزَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَمَظَاهِرِهَا .

وَاقْتَدَى بِجَدِّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا . وَكَانَ يُؤَدِّي الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِهَا ،
وَيُقَلِّدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ .
قَالَتْ عَنْهُ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ :
لَوْ بَقِيَ لَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا احْتَجْنَا بَعْدَهُ
إِلَى شَيْءٍ

قناعته وزهده :

وَرِثَ عُمَرُ عَنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ كَثِيرًا مِنْ
الْأَرْضِ فِي الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَالْيَمَنِ
وَالْبَحْرَيْنِ ، فَكَانَ دَخْلُهُ ضَخْمًا ، قُدِّرَ بِأَرْبَعِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ كُلِّ سَنَةٍ ، فَرَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى بَيْتِ
الْمَالِ ، وَخَصَّصَ لِنَفَقَةِ يَوْمِهِ دِرْهَمَيْنِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ قِيلَ لَهُ : لِمَ إِذَا لَمْ تَأْخُذْ مَا كَانَ
يَأْخُذُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَقَدْ أَبَاحَ الشَّرْعُ
لَكَ ذَلِكَ ؟

فَأَجَابَ : إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ ،
وَأَنَا مَالِي يُغْنِينِي ، وَاكْتَفَى بِدِرْهَمَيْنِ مِنْ مَالِهِ
الْخَاصِّ فِي الْيَوْمِ . وَحَرَّمَ نَفْسَهُ التَّمَتُّعَ بِمَالِهِ ،
وَجَعَلَهُ حِلًّا لِلْمُسَامِينِ .

وَقَدْ اتَتْهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَتَرَكَهَا ، وَتَرَكَ
أَلْوَانَ الطَّعَامِ ، وَخَدَّمَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ .
وَذَاتَ يَوْمٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْأُرْدُنِّ سَلَّتَيْنِ
(سَبْتَيْنِ) مِنَ الرُّطَبِ (البَلَّحِ) فَقَالَ : مَا هَذَا ؟
فَقِيلَ لَهُ : هَاتَانِ سَلَّتَانِ مِنَ الرُّطَبِ ، أَرْسَلَهُمَا
مَعِيَ أَمِيرُ الْأُرْدُنِّ .

فَقَالَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أُرْسِلَتِ السَّلَّتَانِ ؟
فَقَالُوا : عَلَى بَغَالِ الْبَرِيدِ (الرِّسَائِلِ) .
قَالَ عُمَرُ : أَخْرِجُوهُمَا ، فَبِيعُوهُمَا ، وَاجْعَلُوا
ثَمَنَهُمَا فِي طَعَامِ بَغَالِ الْبَرِيدِ .
فَعَمَزَ ابْنُ أَخِيهِ الرَّجُلِ الَّذِي أَحْضَرَ السَّلَّتَيْنِ ،
وَقَالَ لَهُ : إِذْهَبْ إِلَى السُّوقِ ، وَاعْرِضْهُمَا لِلْبَيْعِ
لِتَحْدِيدِ ثَمَنِهِمَا .

ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى السُّوقِ ، فَبَلَغَ ثَمَنُهُمَا ١٤ دِرْهَمًا .

فَاشْتَرَاهُمَا ابْنُ أَخِيهِ ، وَدَفَعَ ثَمَنَهُمَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ
سَلَّةً مِنْهُمَا إِلَى بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ ، وَأَخَذَ
مِنْهُمَا سَلَّةً لِنَفْسِهِ .

قَالَ عُمَرُ : الْآنَ جَازَ لِي الْأَكْلُ مِنْهُ .

تَوَاضَعُهُ :

فِي يَوْمٍ كَانَ جَالِسًا مَعَ بَعْضِ حُكَّامِهِ يَبْحَثُونَ
أَحْوَالَ الرِّعِيَّةِ ، فَتَقَصَّ نُورُ الْمِصْبَاحِ ، فَقَامَ
وَأَصْلَحَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ .

فَقَالَ لَهُ حُكَّامُهُ : لِمَذَا تَفْعَلُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَكُلُّنَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُومَ بِإِصْلَاحِهِ ؟
فَقَالَ لَهُمْ : قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ . وَرَجَعْتُ وَأَنَا
عُمَرُ . وَلَيْسَ مِنْ مَرْوَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ
ضَيفَهُ . فَكَانَ قُدُوةً حَسَنَةً لِعُمَّالِهِ ، لِيَفْعَلُوا

كَمَا يَفْعَلُ ، وَيَقْتَدُوا بِهِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ نَادَاهُ رَجُلٌ بِقَوْلِهِ : يَا خَلِيفَةُ اللَّهِ
فِي الْأَرْضِ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لَمَّا وُلِدْتُ اخْتَارَ
لِي أَهْلِي إِسْمًا فَسَمَوْنِي عُمَرُ ، فَلَوْ نَادَيْتَنِي يَا عُمَرُ
أَجَبْتُكَ . فَلَمَّا كَبُرْتُ اخْتَرْتُ لِنَفْسِي أَبَا حَفْصٍ ،
فَلَوْ نَادَيْتَنِي يَا أَبَا حَفْصٍ أَجَبْتُكَ . فَلَمَّا وَلَّيْتُمُونِي
أُمُورَكُمْ سَمَّيْتُمُونِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَوْ نَادَيْتَنِي
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجَبْتُكَ .

وَأَمَّا خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَلَسْتُ كَذَلِكَ ،
وَلَكِنَّ خُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَأَمْثَالُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ” يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً
فِي الْأَرْضِ . “ سورة ص .
وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ اشْتَدَّتْ الْحَرَارَةُ ،

فَقَالَ عُمَرُ لِجَارِيَّتِهِ : رَوِّحِي بِالْمَرْوَحَةِ حَتَّى أَنَامَ .
فَرَوَّحَتْهُ فَنَامَ . وَحِينَمَا كَانَتْ تُرَوِّحُهُ غَلَبَهَا النَّوْمُ
فَنَامَتْ . فَلَمَّا انْتَبَهَ سَيِّدُنَا عُمَرُ وَجَدَهَا نَائِمَةً .
فَأَخَذَ الْمَرْوَحَةَ وَجَعَلَ يُرَوِّحُهَا . فَلَمَّا قَامَتْ مِنْ
نَوْمِهَا وَرَأَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُرَوِّحُهَا خَجَلَتْ
وَخَافَتْ ، وَصَرَخَتْ .

فَقَالَ لَهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : لَا تَخَافِي ، إِنَّمَا
أَنْتِ بَشَرٌ (مَخْلُوقَةٌ) مِثْلِي ، تُحَسِّنِينَ بِالْحَرَارَةِ
كَمَا أُحَسُّ . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُرَوِّحَكَ كَمَا رَوَّحْتَنِي .
فَعُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ مِثْلَ جَارِيَّتِهِ ،
وَخَدَمَهَا كَمَا خَدَمَتْهُ .

وَكَانَ يَصُبُّ الْمَاءَ لِنَفْسِهِ عِنْدَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ .

عَظْفُهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْيَتَامَى :

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ خَرَجَ ابْنُ لَهُ ، وَأَخَذَ
يَلْعَبُ مَعَ الْأَطْفَالِ فِي الشَّارِعِ . فَجَرَحَ غُلَامٌ
وَجْهَ ابْنِ عُمَرَ ، وَأَسَالَ مِنْهُ الدَّمَ . فَأَخَذَ
الْخَدَمُ الْغُلَامَ الَّذِي جَرَحَهُ ، وَأَدْخَلُوهُ بَيْتَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ ؛ لِيَنْظُرُوا مَا تَأْمُرُ بِهِ زَوْجَةُ
الْخَلِيفَةِ .

فَسَمِعَ عُمَرُ ضَوْضَاءَ فِي الْبَيْتِ . فَانْتَقَلَ مِنْ
حُجْرَتِهِ لِيَرَى مَاذَا جَرَى ؟ فَرَأَى غُلَامًا صَغِيرًا
يَبْكِي ، وَلَهُ أُمٌّ مِسْكِينَةٌ تَتَوَسَّلُ وَ(تَرْجُو) زَوْجَةَ
عُمَرَ أَنْ تَغْفِرَ لِابْنِهَا ذَنْبَهُ وَخَطَأَهُ .

فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ سَبَبِ هَذِهِ الضَّوْضَاءِ . فَأَخْبَرُوهُ
بِمَا حَدَثَ ، وَعَرَفُوهُ أَنَّ الْغُلَامَ الَّذِي جَرَحَ وَجْهَ

ابْنِهِ يَتِيمٌ ، وَأَنَّ أُمَّهُ لَزَوْجَ لَهَا ، وَمِسْكِينَةٌ
لَا ذَنْبَ عَلَيْهَا فِيمَا فَعَلَهُ ابْنُهَا .

فَتَأَلَّمَ عُمَرُ لِلْيَتِيمِ وَأُمِّهِ ، وَعَطَفَ عَلَيْهِمَا .
وَقَالَ لِلْخَدَمِ : اسْأَلُوا الْمَرْأَةَ : هَلْ لِلْغُلَامِ إِعَانَةٌ
مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ؟

فَقَالَتْ : لَا .

فَقَالَ عُمَرُ : أَكْتُبُوهُ فِي سِجِلِّ (دَفْتَرِ)
الْيَتَامَى الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْمُسَاعَدَةِ .

فَلَمَّا سَمِعَتْ فَاطِمَةُ زَوْجَتُهُ قَوْلَهُ تَضَايَقَتْ ،
وَقَالَتْ لِعُمَرَ : إِنِّي أَخَافُ كَثِيرًا عَلَى أَبْنَائِي مِنَ
الْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ بَعْدَ الَّذِي فَعَلْتَهُ .

فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا عُمَرُ وَقَالَ : إِنَّهُ تَأَلَّمَ لِهَذَا
الْغُلَامِ الْيَتِيمِ وَأُمِّهِ كَثِيرًا . وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ :
” وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى “ . سورة البقرة .

وَيَقُولُ :

” وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ،
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . “ سورة آل عمران .
فَسَكَتْ فَاطِمَةُ ، وَضَبَطَتْ غَيْظَهَا .
فَعَمُرُ كَانَ رَءُوفًا بِالضُّعْفَاءِ وَالْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ ،
حَلِيمًا يُقَابِلُ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ .